وحر قَلباه

وحر قَلباه مِمن قَلبه شِيم ... ومن بِجسمي وحالي عِنده سقَم

مالي أكتم حباً قَد برى جسدي ... وتدعي حب سيفِ الدولَةِ الأُمم

إن كَانَ يجمعنا حب لِغرتِهِ ... فَلَيت أنا بِقَدرِ الحُب نقتسِم

قَد زرته وسيوف الهِندِ مغمدت ... وقَد نظَرت إليهِ والسيوف دم

فَكانَ أحسن خلقِ اللهِ كُلهم ... وكانَ أحسن ما في الأحسنِ الشِيم

قَوت العدو الَّذي يممته ظَفَر ... في طَيهِ أَسف في طَيهِ نعم

قَد ناب عنك شديد الخَوفِ واصطَنعت ... لَك المَهابةُ ما لا تصنع البهم

ألزمت نفسك شيئاً لَيس يلزمها ... أن لا يواريهم أرض ولا علَم

أكُلّما رمت جيشاً فانثنى هرباً ... تصرفت بِك في آثارِهِ الهمم

عليك هزمهم في كُل معتركٍ ... وما عليك بِهم عار إذا انهزموا

أما ترى ظَفَراً حلواً سِوى ظَفَرٍ ... تصافَحت فيهِ بيض الهِندِ واللمم

يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملَتي ... فيك الخِصام وأنت الخَصم والحَكَم

أعيذُها نظَراتٍ مِنك صادِقَةً ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما اِنتِفاع أخي الدنيا بِناظِرِهِ ... إذا استوت عنده الأنوار والظُلَم

أنا الذي نظَر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كَلِماتي من بِهِ صمم

أنام مِلءَ جفوني عن شوارِدِها ... ويسهر الخَلق جراها ويختصِم

وجاهِلٍ مده في جهلِهِ ضحِكي ... حتى أتته يد فَراسةٌ وفَم

إذا نظَرت نيوب الليثِ بارِزةً ... فَلا تظُنن أن الليثَ مبتسِم

ومهجةٍ مهجتي من هم صاحِبِها ... أدركتها بِجوادٍ ظَهره حرم

رِجلاه في الركض رِجلٌ واليدان يد ... وفِعلُه ما تريد الكَف والقَدم

ومرهفٍ سِرت بين الجَحفَلين بِهِ ... حتى ضربت وموج المَوتِ يلتطِم

الخَيلُ والليلُ والبيداءُ تعرِفُني ... والسيف والرمح والقِرطاس والقَلَم

صحِبت في الفَلَواتِ الوحش منفَرِداً ... حتى تعجب مِني القُور والأكَم

يا من يعِز علينا أن نفارِقَهم ... وِجداننا كُل شيءٍ بعدكُم عدم

ما كانَ أخلَقَنا مِنكُم بِتكرمةٍ ... لَو أن أمركُم مِن أمرِنا أمم

إن كانَ سركُم ما قالَ حاسِدنا ... فَما لِجرحٍ إذا أرضاكُم أَلَم

وبيننا لَو رعيتُم ذاك معرِفَةٌ ... إن المَعارِف في أهل النهى ذِمم

كَم تطلُبونَ لَنا عيباً فَيعجِزكُم ... ويكره اللَهُ ما تأتونَ والكَرم

ما أبعد العيب والنقصانَ عن شرفي ... أنا الثُريا وذانِ الشيب والهَرم

لَيت الغمام الذي عِندي صواعِقُه ... يزيلُهن إلى من عِنده الديم

أرى النوى تقتضيني كُل مرحلَةٍ ... لا تستقِل بِها الوخادةُ الرسم

لَئن تركن ضميراً عن ميامِننا ... لَيحدثَن لِمن ودعتهم ندم

إذا ترحلت عن قَومٍ وقَد قَدروا ... أن لا تفارِقَهم فالراحِلونَ هم

شر البِلادِ مكانٌ لا صديق بِهِ ... وشر ما يكسب الإنسانُ ما يصِم

وشر ما قَنصته راحتي قَنص ... شهب البزاةِ سواءٌ فيهِ والرخم

بِأي لَفظٍ تقولُ الشِعر زِعنِفَةٌ ... تجوز عِندك لا عرب ولا عجم

هذا عِتابك إلا أنه مِقَةٌ ... قَد ضمن الدر إلا أنه كَلِم

إنما التهنئات للأكفاء

إنما التهنئَات لِلأكْفَاءِ ... ولَمَن يدني مِن البعداءِ

وأنا مِنك لا يهنىءُ عضو ... بالمَسراتِ سائِر الأعضاءِ

مستقِل لَك الديار ولَو كا ... نَ نجوماً آجر هذا البِناءِ

ولَو انّ الذي يخِر مِن الأمـ ... ـواهِ فيها مِن فِضةٍ بيضاءِ

أنت أعلى محلّةً أنْ تهنا ... بمكانٍ في الأرض أو في السماءِ

ولَك الناس والبِلاد وما يسـ ... ـرح بين الغبراءِ والخَضراءِ

وبساتينك الجِياد وما تحـ ... ـمِلُ مِن سمهرِيةٍ سمراءِ

إنما يفْخر الكَريم أبو المِسـ ... ـكِ بِما يبتني مِن العلْياءِ

وبأيامِهِ التي انسلَخت عنـ ... ـه وما داره سِوى الهَيجاءِ

وبِما أثّرت صوارِمه البِيـ ... ـض لَه في جماجِمِ الأعداءِ

وبمسكٍ يكْنى بِهِ لَيس بالمِسـ ... ـكِ ولَكِنه أرِيج الثّناءِ

لا بِما يبتني الحَواضر في الريـ ... ـفِ وما يطّبي قُلُوب النساءِ

نزلَت إذْ نزلْتها الدار في أحـ ... ـسن منها مِن السنى والسناءِ

حلّ في منبِتِ الرياحين مِنها ... منبِت المَكْرماتِ والآلاءِ

تفضح الشمس كلّما ذرتِ الشمـ ... ـس بشمسٍ منيرةٍ سوداءِ

إنّ في ثَوبك الذي المَجد فيهِ ... لَضِياءً يزري بكُلّ ضِياءِ

إنما الجِلد ملبس وابيضاض الـ ... ـنفس خير من ابيضاض القَباءِ

كَرم في شجاعةٍ وذَكاءٌ ... في بهاءٍ وقُدرةٌ في وفَاءِ

من لِبيضِ المُلُوكِ أن تبدِلَ اللو ... نَ بلُونِ الأستاذِ والسحناءِ
فَتراها بنو الحُروبِ بأعيا ... نٍ تراه بها عَداةَ اللّقَاءِ
يا رجاءَ العيونِ في كلّ أرضٍ ... لم يكُن غير أنْ أراك رجائي
ولَقَد أفْنتِ المَفَاوِز خيلي ... قَبلَ أنْ نلتقي وزادي ومائي
فَارمِ بي ما أردت مني فإني ... أسد القَلْبِ آدمي الرواءِ
وفُؤادي مِن المُلُوكِ وإن كا ... نَ لِساني يرى من الشعراءِ

أمن ازديارك في الدجى الرقباء

أمِن ازدِيارِكِ في الدجى الرقَباءُ ... إذْ حيثُ كنتِ مِن الظّلامِ ضِياءُ
قَلَق المَليحةِ وهي مِسك هتكُها ... ومسيرها في اللّيلِ وهي ذُكاءُ
أسفي على أسفي الذي دلّهتني ... عن عِلْمِهِ قَبِهِ علي خفَاءُ
وشكِيتي قَقْد السقامِ لأنه ... قَد كانَ لمّا كانَ لي أعضاءُ
مثّلْتِ عينكِ في حشاي جِراحةً ... فتشابها كِلْتاهما نجلاءُ
نفَذَت علّي السابِري وربما ... تندق فيهِ الصعدةُ السمراءُ
أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحمت ... وإذا نطَقْت فإنني الجَوزاءُ
وإذا خفِيت على الغبي فَعاذِر ... أنْ لا تراني مقْلَةٌ عمياءُ
شِيم اللّيالي أنْ تشكك ناقتي ... صدري بها أفضى أمِ البيداءُ

فَتبيت تسئِد مسئِداً في نيها ... إسآدها في المَهمهِ الإنضاءُ
بيني وبين أبي علي مِثْلُه ... شم الجِبالِ ومِثْلُهن رجاءُ
وعِقاب لُبنانٍ وكيف بقَطْعِها ... وهو الشتاءُ وصيفُهن شِتاءُ
لُبس الثلُوج بها علي مسالِكي ... فَكأنها بِبياضِها سوداءُ
وكذا الكريم إذا أقام ببلْدةٍ ... سالَ النضار بها وقام الماءُ
جمد القِطار ولو رأته كما ترى ... بهتت قَلُم تتبجسِ الأنواءُ
في خطّهِ من كلّ قَلبٍ شهوةٌ ... حتى كأنّ مِداده الأهواءُ
ولكُلّ عينٍ قُرةٌ في قُربِهِ ... حتى كأنّ مغيبه الأقْذاءُ
من يهتدي في الفِعلِ ما لا تهتدي ... في القَول حتى يفعلَ الشعراءُ
في كلّ يومٍ للقَوافي جولَةٌ ... في قَلْبِهِ ولأُذْنِهِ إصغاءُ
وإغارةٌ في ما احتواه كأنما ... في كُلّ بيتٍ قَيلَق شهباءُ
من يظِلم اللّؤماءَ في تكليفِهم ... أنْ يصِيحوا وهم لَه أكْفاءُ
ونذيمهم وبِهم عرفْنا فَضلَه ... وبِضِدها تتبين الأشياءُ
من نفْعه في أنْ يهاج وضره ... في تركِهِ لَو تفْطَن الأعداءُ
فالسلم يكسِر من جناحي مالِهِ ... بنوالِهِ ما تجبر الهَيجاءُ
يعطي فتعطَى من لُهى يدِهِ اللهى ... وترى بِرؤيةِ رأيِهِ الآراءُ
متفَرق الطّعمين مجتمع القُوى ... فكأنه السراءُ والضراءُ
وكأنه ما لا تشاءُ عداته ... متمثّلاً لوقُودِهِ ما شاؤوا
يا أيها المُجدى علَيهِ روحه ... إذْ لَيس يأتيهِ لها استِجداءُ
إحمد عفاتك لا فُجِعت بفَقدِهم ... فَلَترك ما لم يأخذوا إعطاءُ

لا تكْثُر الأموات كَثرةَ قِلّةٍ ... إلاّ إذا شقِيت بك الأحياءُ

والقَلْب لا ينشق عما تحته ... حتى تحِلّ بِهِ لَك الشحناءُ

لمْ تسم يا هرونُ إلاّ بعدما افْـ ... ـترعت ونازعتِ اسمك الأسماءُ

فغدوت واسمك فيك غير مشارِكٍ ... والناس في ما في يديك سواءُ

لَعممت حتى المُدنُ منك مِلاءُ ... ولَفُت حتى ذا الثّناءُ لَفَاءُ

ولجُدت حتى كِدت تبخلُ حائِلاً ... للمنتهى ومن السرور بكاءُ

أبدأت شيئاً ليس يعرف بدؤه ... وأعدت حتى أُنكِر الإبداءُ

فالفَخر عن تقصِيرِهِ بك ناكِب ... والمَجد مِن أنْ يستزاد براءُ

فإذا سِئلْت فَلا لأنك محوج ... وإذا كُتِمت وشت بك الآلاءُ

وإذا مدِحت فلا لتكسِب رِفْعةً ... للشاكِرين على الإلهِ ثَناءُ

وإذا مطِرت فَلا لأنك مجدِب ... يسقَى الخَصِيب ويمطَر الدأماءُ

لم تحكِ نائِلَك السحاب وإنما ... حمت بِهِ قَصبيبها الرحضاءُ

لم تلْق هذا الوجه شمس نهارِنا ... إلاّ بوجهٍ لَيس فيهِ حياءُ

فَبِأيما قَدمٍ سعيت إلى العلَى ... أُدم الهِلال لأخمَصيك حِذاءُ

ولَك الزمانُ مِن الزمانِ وِقايةٌ ... ولَك الحِمام مِن الحِمامِ فِداءُ

لو لم تكن من ذا الورى اللّذْ منك هو ... عِقمت بمولِدِ نسلِها حواءُ

أتنكر يا ابن إسحق إخائي

أتنكِر يا ابن إسحقٍ إخائي ... وتحسب ماءَ غَيري من إنائي؟

أأنطِق فيك هجراً بعد عِلْمي ... بأنك خير من تحت السماءِ

وأكْره مِن ذُبابِ السيفِ طَعماً ... وأمضى في الأمورِ من القَضاءِ

وما أربت على العِشرين سِني ... فكيف مِلْت من طول البقاءِ؟

وما استغرقت وصفَك في مديحي ... فأنقُص مِنه شيئاً بالهجاءِ

وهبني قُلت: هذا الصبح لَيلٌ ... أيعمى العالَمُونَ عن الضياءِ؟

تطيع الحاسِدين وأنت مرءٌ ... جعِلْت فِداءَه وهم فِدائي

وهاجي نفْسِهِ من لم يميز ... كَلامي مِن كَلامِهِمِ الهُراءِ

وإنّ مِن العجائِبِ أنْ تراني ... فَتعدِلَ بي أقَلّ مِن الهَباءِ

وتنكِر موتهم وأنا سهيلٌ ... طَلَعت بموتِ أولادِ الزناءِ

عذل العواذل حول قلبي التائه

عذْلُ العواذِلِ حولَ قَلبي التائِهِ ... وهوى الأحِبةِ مِنه في سودائِهِ

يشكُو المَلام إلى اللّوائِمِ حره ... ويصد حين يُلمن عن برحائِهِ

وبمهجتي يا عاذِلي المَلِك الذي ... أسخطت أعذَلَ مِنك في إرضائِهِ

إنْ كانَ قَد ملَك القُلُوب فإنه ... ملَك الزمانَ بأرضِهِ وسمائِهِ

ألشمس مِن حسادِهِ والنصر من ... قُرنائِهِ والسيف مِن أسمائِهِ

أين الثّلاثَةُ مِن ثَلاثِ خِلالِهِ ... مِن حسنِهِ وإبائِهِ ومضائِهِ

مضتِ الدهور وما أتين بِمِثْلِهِ ... ولَقَد أتى فَعجزنَ عن نظَرائِهِ

ألقَلْب أعلَم يا عذُولُ بدائِهِ ... وأحق مِنك بجفْنِهِ وبمائِهِ

فَومن أُحِب لأعصِينك في الهوى ... فَسماً بِهِ وبحسنِهِ وبهائِهِ

أأُحِبه وأُحِب فيهِ ملامةً؟ ... إنّ المَلامةَ فيهِ من أعدائِهِ

عجِب الوشاةُ من اللحاةِ وقولِهم ... دع ما نراك ضعفْت عن إخفائِهِ

ما الخِل إلاّ من أود بِقَلْبِهِ ... وأرى بطَرفٍ لا يرى بسوائِهِ

إنّ المُعِين على الصبابةِ بالأسى ... أولى برحمةِ ربها وإخائِهِ

مهلاً فإنّ العذْلَ مِن أسقَامِهِ ... وترفقاً فالسمع مِن أعضائِهِ

وهبِ المَلامةَ في اللّذاذَةِ كالكَرى ... مطْرودةً بسهادِهِ وبكَائِهِ

لا تعذُلِ المُشتاق في أشواقِهِ ... حتى يكونَ حشاك في أحشائِهِ

إنّ القَتيلَ مضرجاً بدموعِهِ ... مِثْلُ القَتيل مضرجاً بِدمائِهِ

والعِشق كالمَعشوق يعذُب قُربه ... للمبتلى وينالُ مِن حوبائِهِ

لَو قُلْت للدِنفِ الحَزينِ فَديته ... مِما بِهِ لأعَرته بِفدائِه

وقِي الأمير هوى العيون فإنه ... ما لا يزولُ ببأسِهِ وسخائِهِ

يستأسِر البطَلَ الكمِي بنظْرةٍ ... ويحولُ بين فُؤادِه وعزائِهِ

إني دعوتك للنوائِبِ دعوةً ... لم يدع سامِعها إلى أكْفَائِهِ

فأتيت مِن فَوقِ الزمانِ وتحتِهِ ... متصلْصِلاً وأمامِهِ ووراِئِهِ

من للسيوفِ بأنْ يكونَ سمِيها ... في أصلِهِ وفِرندِهِ ووقَائِهِ

طُبِع الحَديد فكانَ مِن أجناسِهِ ... وعلي المَطْبوع مِن آبائِهِ